المستقبل
للأبحاث والدراسات المتقدمة

أوراق أكاديمية

المدير الأكاديمي:
د. محمد عبدالسلام

رئيس التحرير التنفيذي:
أحمد عتمان

نائب رئيس التحرير:
مصطفى ربيع

هيئة التحرير:
د. محمد عز العرب
أحمد عاطف
إبراهيم الغيطاني

الهيئة العلمية:
أ. إبراهيم غالي
أ. حسام إبراهيم
د. شادي عبدالوهاب
علي صلاح
د. إيهاب خليفة
هالة الحفناوي
يارا منصور
منى مصطفى
عبداللطيف حجازي
آية يحيى
جيداء أبو الفتوح

الإخراج الفني:
عبدالله خميس

التسويق والنشر:
أمجد محمد جروين
marketing@futureuae.com

العلاقات العامة:
رحاب مكرم
info@futureuae.com

العدد 8، 04 أبريل 2021

الثورات المعرفية:
لماذا تتصاعد الدعوات لاستقلال العلاقات الدولية عن العلوم السياسية؟

د. يوسف داوود
باحث دكتوراه في الاقتصاد السياسي- معهد الدراسات السياسية ببوردو، فرنسا

تصاعدت في الآونة الأخيرة روافد من الكتابات النظرية حول ضرورة استقلال العلاقات الدولية عن حقل العلوم السياسية، وهو ما وصفته بعض الأدبيات بـ«الخروج من أسر السياسة». وترى هذه الكتابات أن العلاقات الدولية تمتلك مقومات التحول لحقل مستقل نظرياً، وأن العلوم السياسية تفرض قيوداً معرفية ومنهجية على العلاقات الدولية، تحد من قدرتها على تبني الاتجاهات البينية والاستعانة بمداخل من حقول أخرى، مثل الجغرافيا والتاريخ والعلوم الطبيعية، وفي هذا الصدد تسعى هذه الورقة لاستقصاء خريطة الاتجاهات التي تدعم استقلال العلاقات الدولية، وأسباب تزايدها، ومعالم التغير في دراسات العلاقات الدولية، بعيداً عن دراسة السياسة.

أولاً: ملامح الاستقطاب حول "تقرير مصير العلاقات الدولية"

لا ينحصر الجدل النظري حول مدى ارتباط العلاقات الدولية بالعلوم السياسية في تيارين أساسيين فحسب، أحدهما مؤيد لذلك الارتباط والآخر معارض له. فالاتجاهات الصاعدة في نظرية العلاقات الدولية تشير إلى أن هذا الجدل يثار بشكل متجدد داخل أنصار التيار الواحد، خاصة داخل أروقة مؤيدي الربط بين الحقلين، بمعنى أن مناصري ارتباط العلاقات الدولية بحقل العلوم السياسية أنفسهم يقومون بإجراء مراجعات فكرية ونظرية حول مدى رجاحة فرضياتهم ورؤاهم للواقع في ظل المتغيرات الدولية المتسارعة.

ملامح الاستقطاب حول "تقرير مصير" العلاقات الدولية

تصاعد "أزمة هوية" الحقل المعرفي

أنطولوجيا القوة كرابط بين العلاقات الدولية والسياسة

رفض احتكار العلاقات الدولية لدراسة "المكان"

1- تصاعد "أزمة هوية" الحقل المعرفي: يرى بيير بورديو عالم السياسة الفرنسي الشهير أن الانقسام النظري داخل التيار المؤيد لضرورة وجود ارتباط بين العلاقات الدولية والعلوم السياسية مبعثه طبيعة العلاقات الدولية نفسها كحقل للدراسة[1]. فعلى الرغم من اعتماد أنصار هذا الربط على فكرة أن "الدول" هي الوحدات الأساسية المكونة للـ"علاقات الدولية"، حتى بين الكيانات غير الرسمية التي لا يمكن أن توجد بشكل مؤسسي ومستقر إلا داخل الدولة، فإنهم يجدون أنفسهم في بعض الأحيان أمام أزمة هوية واستقلالية في مواجهة التخصصات العلمية الأخرى، مثل الجغرافيا والتاريخ والاقتصاد، مما يؤدي إلى تصدع هذا التيار داخلياً.

وترجع أزمة الهوية المشار إليها إلى كون دراسة العلاقات الدولية من منظور السياسة تنصب على كشف واستبيان البعد "الخارجي" أو "الدولي" لظاهرة أو موضوع معين، وهو بذلك دراسة في "المكان" و"النطاق" وليس دراسة في موضوع مستقل بذاته، مما يجعلها تفتقد إلى الخصوصية والاستقلال والتفرد وغيرها من سمات التخصص المعرفي[2].

ويتضح ذلك في المقاربات البحثية العابرة للتخصصات أو تلك التي توظف تخصصين أو أكثر لمعالجة قضية معينة، مثل الاقتصاد السياسي الدولي وتاريخ العلاقات الدولية، حيث يلعب هنا البعد الدولي دوراً مكملاً للمنهجية الأساسية المستخدمة في البحث، والتي تنطوي في الأساس على دراسة السياسة بين دولتين أو أكثر عن طريق استخدام متغيرات اقتصادية أو أحداث تاريخية، والتي تصبح موضوعاً للدراسة.

ويمكن الإشارة أيضاً في هذا الصدد إلى التداخل المتزايد بين النظم السياسية والعلاقات الدولية والتي جعلت كتابات متعددة تتحدث عن الأخيرة باعتبارها هجيناً بين الحقلين (Intermestic)، إذ أنه من المتعذر الفصل بين الأوضاع الداخلية والتحولات الخارجية، سواء الإقليمية أو الدولية، وهو ما أسهم في تبلور إشكالية تتعلق بالتخصص الدقيق أثناء تسجيل رسائل الماجستير والدكتوراه في بعض الأحيان في المؤسسات الأكاديمية المختلفة.

هذه الأزمة المرتبطة بالهوية، إن كانت تترجم كنوع من الحوار الداخلي أو فقدان الثقة في بعض الأحيان داخل التيار المنادي بتبعية العلاقات الدولية للسياسة، إلا أنها أسهمت في بزوغ تيار جديد ينادي بالفصل الكامل للعلاقات الدولية عن السياسة، طالما أن الأخيرة تفرغ الأولى من مضمونها، على الرغم من أن الربط بينهما كان يتم بشكل تلقائي باعتباره من المسلمات لدى المتخصصين في العلوم السياسية.

2- أنطولوجيا القوة كرابط بين العلاقات الدولية والسياسة: ينتمي أكثر المدافعين تشدداً عن الربط بين العلاقات الدولية والعلوم السياسية للتيارات الواقعية والواقعية الجديدة[3] والتي تفترض وجود قدر من "الأناركية" أو اللاسلطوية في العلاقات الدولية، وبما أن المجتمع الدولي يفتقد إلى سلطة مركزية تسيطر على التفاعلات البينية بين وحداته، فإن موضوع العلاقات الدولية سيكون بالضرورة عبارة عن بحث في أنطولوجيا القوة؛ وهي الأساس الفلسفي للسياسة وموضوع بحثها الرئيسي. ويأتي على رأس هذا التيار إي أتش كار، وروبرت جيبلن، وكريستوفر لين، وكينيث والتز[4].

3- رفض احتكار العلاقات الدولية لدراسة "المكان": على الناحية الأخرى، فإن التيار المعارض لهذا الربط والدافع بضرورة تخلص العلاقات الدولية من التبعية للسياسة يرتكز على منطق أساسي مفاده أن العلاقات الدولية كتخصص - بالإضافة إلى افتقارها لموضوع بحثي مستقل خاص بها - لا يمكن حتى افتراض احتكارها لدراسة "المكان" و"النطاق"، فالجغرافيا على سبيل المثال يمكنها أيضاً الاستناد إلى الحجة نفسها وتوظيف قدر أكبر من الأدوات الإمبريقية والادعاء باحتفاظها بقدر أكبر من التأثير على الأحداث محل الدراسة[5]، فالموقع الجغرافي والموارد الطبيعية وسرعة الرياح وخصائص المناخ والتضاريس قد تكون محددات أكثر أهمية للفرد في تعامله مع ما هو خارجي أو في اتخاذ قراراته الحياتية أو الاقتصادية من معرفة طبيعة العلاقات السياسية بين دول بعينها.

ومن هذا المنطلق، قام أنصار هذا الاتجاه الداعي إلى تحرير حقل العلاقات الدولية من سجون السياسة بصياغة مشروع معرفي لفصل العلاقات الدولية عن العلوم السياسية وطرح فكرة استقلال الحقل بصورة تامة. إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن كيلفورد جليرتز[6] وروبرت روزنبرج يعتبران من أهم رواد هذا التيار الثاني، والذين قاموا بدراسة دوافع هذا الفصل ومؤشراته ونتائجه.

ثانياً: دوافع الثورة على هيمنة العلوم السياسية

يستند التيار المنادي بالفصل بين العلاقات الدولية وحقل العلوم السياسية إلى مجموعة من الدوافع، والتي يرى فيها قرائن قوية تدعم وجهة نظره، حيث يتمثل أبرزها فيما يلي:

1- صعود "التفاعلات السياسية الرخوة" (Soft Politics): قام محررو "المجلة الأوروبية للعلاقات الدولية" بنشر عدد في 2013 بعنوان "نهاية نظرية العلاقات الدولية؟"[7]، حيث قاموا فيه بإرجاع السبب الرئيسي لسعي التيارات الحديثة في دراسة العلاقات الدولية للخروج من "أسر السياسة" إلى تراجع وانزواء الإشكاليات التي أدت لهذا الربط. وذلك لأن ازدهار هذا الحقل داخل ثوب العلوم السياسية منذ بزوغ المدرسة الواقعية التقليدية - وعلى رأس مفكريها هانز مورجانثو

وريمون آرون منذ أربعينيات القرن الماضي - يرجع بالأساس إلى محاولة فهم التغيرات السياسية المرتبطة بالواقع الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، وتزايد أهمية سباق التسلح ونظريات الردع إبان فترة الحرب الباردة.

ويعني ذلك أن الخروج من الحيز "الداخلي" إلى النطاق "الدولي" طوال هذه الفترة كانت تسيطر عليه المواءمات السياسية وموازين القوى العسكرية الصرفة. أما في الوقت الراهن، ومع استقرار مبادئ تحريم استخدام القوة في العلاقات الدولية وزيادة الاندماج الاقتصادي بين فرقاء الأمس (دول أوروبا على سبيل المثال)، فقد تراجع الوزن النسبي للاعتبارات السياسية والعسكرية على المستوى الدولي لحساب الاعتبارات الاقتصادية والبيئية، إلى الحد الذي جعل هذه الاعتبارات هي المؤثرة على السياسة وليس العكس (مثل: تصاعد شعبية أحزاب الخضر في أوروبا نتيجة ما تفرضه التحديات المناخية الجديدة وتغييرها للواقع السياسي نفسه وتفضيلات الناخبين).

2- ضعف إسهام العلاقات الدولية في التفاعلات العابرة للتخصصات: يرى كريس براون أن الربط بين تخصصين عادة ما يتم نتيجة للأثر المتبادل لكل منهما على الآخر أو لاستخدام أحدهما للآخر كنهج للإثبات والتحليل (مثل اعتماد الفيزياء على الرياضيات على سبيل المثال). من هنا، فإن براون يرى أن العلاقات الدولية استمدت العديد من الفرضيات ومناهج البحث من العلوم الأخرى من دون إسهام يذكر منها على مسار ومنهجية هذه العلوم، ومن ثم فلا يوجد ما يبرر ربطها بحقل العلوم السياسية على وجه التحديد[8].

كما يرى براون أنه كان يجدر ربط حقل العلاقات الدولية بمجال كالاقتصاد على سبيل المثال، وذلك لأن الدول القومية بشكلها الحديث لم تبدأ في الظهور إلا بعد مؤتمر ويستفاليا عام 1648، بينما كانت العلاقات الخارجية منذ فجر التاريخ تنصب في الأساس على حركات تنقل البشر للبحث عن الثروة وتحسين المعيشة، أي ما يمكن اعتباره نشأة للنظام الاقتصادي البدائي. بالإضافة لما سبق، فإن المعاهدات والاتفاقات التاريخية كانت ترمي إلى وقف حالة الصراع حول ثروات معينة وعلى رأسها الأرض والموارد، وهو ما قد يجعل الربط بين العلاقات الدولية وتاريخ الاقتصاد أمراً أكثر بديهة من ربطها بالسياسة. ومن ثم فإن غياب تأثير العلاقات الدولية على التخصصات العلمية بشكل عام - والسياسة بشكل خاص - يجعل من غير المنطقي إتمام هذا الربط بشكل تلقائي.

3- اتهام "السياسة الدولية" بالتحيز والأحادية: يرى أنصار الفصل بين العلاقات الدولية والعلوم السياسية أن الارتباط التقليدي بينهما لا يعتبر فقط غير مبرر، ولكنه أضر أيضاً بالعلاقات الدولية كتخصص بجذبها إلى خانة الانحياز والذاتية (Sub-jectivity). حيث يرى هـ.م. لينج أن العلاقات الدولية أصبحت تخصصاً "مفرط الذكورة ذا مركزية أوروبية ومنحازاً للون الأبيض" (Hypermasculine-Eurocen-tric-Whiteness)، نتيجة اهتمام السياسة بشكل خاص بهذه الفئة من البشر[9]. وهو الأمر الذي أدى إلى إغفال الجوانب العلمية التي قد تكون مرتبطة بالمرأة والشعوب والعرقيات الأخرى في تشكيل السياسة الدولية.

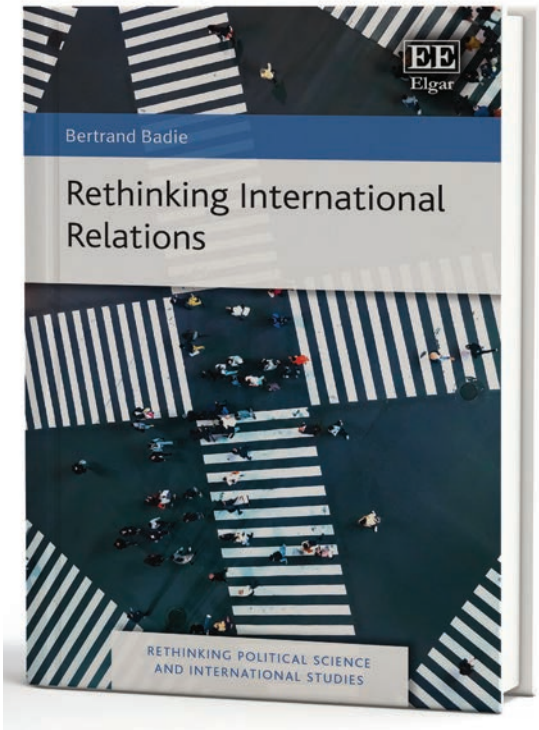

وظهرت التيارات النسوية الدولية كخطاب مضاد للتأصيل العلمي والمفاهيمي المسيطر على حقل العلاقات الدولية، كما ظهرت اتجاهات نقدية متعددة لتفكيك

المركزية الأوروبية والعنصرية في العلاقات الدولية. لذلك، فإن أنصار الفصل بين الاتجاهين يرون أن السياسة تبعد العلاقات الدولية عن الموضوعية والنظرة الشمولية وتفقدها الطابع العلمي بالوقوع في أخطاء الانحياز، وهو ما يستوجب تحريرها من سجون السياسة.

4- تبني اتجاهات "الانعكاسية" وتراجع المناهج الوضعية: يرى أنصار الفصل بين التخصصين أن باحثي العلاقات الدولية أصبحوا يتجهون إلى الانعكاسية (Reflectivism) في مقابل الفلسفة الوضعية (Positivism)، أي أنهم أصبحوا يبتعدون عن المقاربات التي تلتزم بوجود فرضيات معينة يتم تفسير الواقع بناءً عليها، مثل "الواقعية والليبرالية والماركسية"، وأصبحوا يتجهون أكثر للتحرر من الفرضيات السائدة وذلك عن طريق تفسير الواقع الدولي بالتشكك في فرضيات المدارس التقليدية من دون بناء محددات ثابتة قد يثبت عدم جدواها فيما بعد[10].

ولعل من أبرز هذه المناهج التي لا تبني فرضيات بعينها وأصبحت تلقى قبولاً واسعاً داخل أوساط الأكاديميين، نهج البنائية (Constructivism). فوفقاً لهذا المنهج، لا توجد حقيقة مطلقة في الواقع الدولي، وأن هذه الحقيقة "مبنية" اجتماعياً وفقاً لاختلاف إدراكات الفاعلين.

5- وصول العلاقات الدولية لمرحلة التشبع في الأدوات والأنماط: أصبح متخصصو العلاقات الدولية يتجهون أيضاً لتبني "الجمعية" (Collectivism) في مقابل "الانتقائية" (Eclecticism)، بمعنى أنهم أصبحوا يتجهون أكثر للجمع بين مقاربتين أو أكثر لتفسير ظواهر دولية معينة وعدم إمكانية الاكتفاء بمقاربة واحدة وهو ما يعني تعددية المناهج وأدوات التحليل في دراسة الظاهرة الدولية[11].

ومن ثم، يرى أنصار الفصل بين التخصصين أن ما سبق ما هو إلا اعتراف ضمني من علماء السياسة بفشل تطويعهم لحقل العلاقات الدولية، فيما يعرف بوصول البحث العلمي للعلاقات الدولية لمرحلة "التشبع" (Satu-ration)، والتي تدفعهم للجوء لأكبر قدر من الأدوات والأنماط التفسيرية لعجز المقاربات المحددة عن تقديم إجابات وافية للأسئلة والإشكاليات البحثية المثارة.

ثالثاً: مؤشرات تصاعد اتجاهات استقلال العلاقات الدولية عن السياسة

إن دفع العلاقات الدولية للاستقلالية عن العلوم السياسية لن يأتي بين عشية وضحاها، بل هي عملية مستمرة من الشد والجذب بين رافضي ومؤيدي هذا التوجه من دون تحديد لحظة فصل معينة أو حتى شكل معين لهذا التفكك. وعلى الرغم من ذلك، فإن هناك بعض المظاهر أو المؤشرات التي تُنبئ عن بداية حدوث هذا التفكك أو على أقل تقدير تؤشر لوجود صدمة قوية داخل أوساط دراسة السياسة، ومن ضمن أهم هذه المؤشرات ما يلي:

1- تراجع شعبية المدرسة الواقعية وصعود التيارات البديلة: بدأت مؤشرات دفع العلاقات الدولية للاستقلالية في الظهور داخل أروقة متخصصي العلاقات الدولية من منظور السياسة. فمن ضمن أهم هذه المؤشرات كسب تيارات فكرية أخرى لمزيد من الشعبية في الوقت الراهن، وعلى رأسهم النيوليبرالية المؤسسية، في محاولة لتحسين صورة العلاقات الدولية وإخراجها خارج نطاق السلطة والقوة وغيابهما. فاقتراب النيوليبرالية الجديدة يفترض أن هناك نوعاً من "الاعتماد المتبادل" (Interdependence) بين وحدات النظام الدولي ويركز هذا التيار على الفاعلين من غير الدول أيضاً في سبيل تحقيق التعاون وتعظيم الاستفادة بين هذه الوحدات غير المتصارعة بالضرورة[12].

ولعل روبرت كوهين وجوزيف ناي يعتبران من أهم الآباء المؤسسين لهذا التيار، الذي اكتسب شعبية متصاعدة من قبل الباحثين المهتمين بتقاطع العلاقات الدولية مع الاقتصاد ومع معطيات الواقع الدولي الجديد. ولعل من أهم فرضيات هذه المدرسة الفكرية أيضاً وجود ربط بين العوامل الخارجية والتفاعلات الداخلية، وهو النهج

الذي اتجه لدعمه وتقويته أنصار الفصل بين العلاقات الدولية والسياسة على أساس أن البعد "الدولي" لا يقتصر فقط على "العلاقات الخارجية"، بل أن التفاعل بين الوحدات المختلفة هو المنطق الحاكم لتركيبة النظم في مختلف المجالات وليس فقط العلاقات الدولية[13].

وعلى سبيل المثال، فإن العوامل الخارجية في السوسيولوجيا كالتنشئة الاجتماعية والمحيط الثقافي لا يمكن النظر إليها باعتبارها مؤثرات خارجية على الإنسان، بل تعتبر جزءاً من كينونته وشخصيته وتركيبته الداخلية. من هنا، فإن تزايد اللجوء لمقاربات أخرى بخلاف الواقعية هو شهادة ضمنية ومؤشر على محاولات دفع العلاقات الدولية بعيداً عن المعنى الضيق للسياسة، وإعادة تعريف نطاقها بحيث لا يقتصر على ما هو خارجي فقط، كما اعتادت الواقعية أن تفعل.

2- تصاعد حركة النشر العالمية حول تبعية العلاقات الدولية: تزايدت حركة النشر العلمي حول تبعية حقل العلاقات الدولية في العقد الأخير، وهو أحد المؤشرات المهمة والقابلة للقياس بشأن محاولات دفع العلاقات الدولية للاستقلالية وتأسيس حقل جديد. وينقسم النشر الأكاديمي في هذا الشأن إلى فئتين رئيسيتين:

أ- إعادة هيكلة الارتباط بين السياسة والعلاقات الدولية: تشمل الفئة الأولى مقالات وأعمالاً أكاديمية تعيد التفكير في العلاقات الدولية وتسعى لتفكيك فرضياته الحاكمة، ولكن داخل إطار السياسة في محاولة لتحسين أدواته التحليلية. ومن ضمن الأعمال المنشورة تحت هذه الفئة الأولى كتاب برتراند بادي المعنون "إعادة التفكير في العلاقات الدولية" (Rethinking International Relations)[14] والمنشور عام 2020، وكذا دراسة تيم دون وليني هانسن وكولين وايت المعنونة "نهاية نظرية العلاقات الدولية؟" (The End of International Relations Theory?) والمنشور عام 2013[15]، وأخيراً مقال نايف الردهان "مستقبل العلاقات الدولية : نظرية واقعية تكافلية" (The Future of International Relations: a symbiotic Realism Theory)"[16] والمنشور عام 2013.

ب- استعراض إيجابيات تقرير مصير العلاقات الدولية: تتضمن الفئة الثانية، الدراسات والتحليلات التي تسعى لتقديم نظرة إيجابية عن بنية وطبيعة العلاقات الدولية بعد تحولها لتخصص مستقل، ولعل أبرز هذه الأعمال: مقال جاستن روزنبرج المعنون "العلاقات الدولية في سجن العلوم السياسية" (Interna-tional Relations in the Prison of Political Science)" والمنشور عام 2016، ومقال أليكس بيلامي المعنون "خلاصة: إعادة تشكيل العلاقات الدولية؟" (Conclusion: Reshaping International Relations?)[17]، وأخيراً مقال سابرينا كولييه المعنون "السياسة في مقابل العلاقات الدولية: أيهما يجب دراسته؟" (Politics Vs Inter-national Relations: Which should you study)[18] والمنشور عام 2021.

3- التوسع في توظيف العلاقات الدولية في الحقول المعرفية الأخرى: اتجهت العلوم والتخصصات الأخرى للتركيز على الأبعاد "الدولية" أو "العالمية". فعلى سبيل المثال لم يعد الطب مقتصراً على دراسة الوظائف الحيوية لجسم الإنسان والأمراض والفيروسات فحسب، بل أصبح عنصر "التدويل" أساسياً للحكم مثلاً على مرض معين باعتباره "وباء أو جائحة" من عدمه، حيث يتيح عنصر التدويل دراسة عينات كبيرة من البشر لرصد طبيعة تطور جينات فيروس معين ومدى قابليته للتحور.

Article

International relations in the prison of Political Science

International Relations
1–27
© The Author(s) 2016
Reprints and permissions:
sagepub.co.uk/journalsPermissions.nav
DOI: 10.1177/0047117816644662
ir.sagepub.com
SAGE

Justin Rosenberg
University of Sussex

Abstract
In recent decades, the discipline of International Relations (IR) has experienced both dramatic institutional growth and unprecedented intellectual enrichment. And yet, unlike neighbouring disciplines such as Geography, Sociology, History and Comparative Literature, it has still not generated any 'big ideas' that have impacted across the human sciences. Why is this? And what can be done about it? This article provides an answer in three steps. First, it traces the problem to IR's enduring definition as a subfield of Political Science. Second, it argues that IR should be re-grounded in its own disciplinary problematique: the consequences of (societal) multiplicity. And finally, it shows how this re-grounding unlocks the transdisciplinary potential of IR. Specifically, 'uneven and combined development' provides an example of an IR 'big idea' that could travel to other disciplines: for by operationalizing the consequences of multiplicity, it reveals the causal and constitutive significance of 'the international' for the social world as a whole.

Keywords
historical sociology, International Relations, international theory, Political Science, uneven and combined development

Introduction
The modern discipline of International Relations (IR) is nearly 100 years old. Its first Chair was established in 1919 at the then University College of Wales, Aberystwyth, and the coming centenary will doubtless witness a variety of celebratory events. There will be much to celebrate. In the decades since the end of the Cold War, public awareness of the importance of international affairs has dramatically increased. Courses in interna-tional studies have proliferated across the higher education sector. And the discipline of

Corresponding author:
Justin Rosenberg, Department of International Relations, University of Sussex, Brighton, BN1 9RH, UK.
Email: j.rosenberg@sussex.ac.uk

وُيشكل اختلاف المجتمعات والصفات الوراثية والخصائص البيئية والمناخية عامل حسم في الدراسات الطبية المرتبطة بالأوبئة وآثارها على فصائل البشر المختلفة. وبالنسبة للعلوم الاجتماعية، يضرب المثل بالأدب والدراسات اللغوية والتي ازداد اهتمامها بفكرة أصول وروافد اللغات والنصوص الأدبية باعتبارها انعكاساً لثقافات وتفاعلات مختلفة، بحيث يستحيل فهم نص أو لغة معينة إلا عن طريق البحث في جذورها المختلطة أو في سياقها الأشمل والأعم. وهنا تأتي "العلاقات الدولية" كمتغير مستقل للحكم على مدى غنى أو فقر نص معين، ومدى أصالة أو اصطناع لغة معينة[19].

بمعنى آخر كلما كانت اللغة وليدة تفاعلات بين لغات ومرادفات من أصول مختلفة كلما كانت أكثر اصطناعاً وأقل أصالة، وكلما كان النص متفرداً مقارنة بغيره من حيث الفكرة، كلما كان أصلياً بغض النظر عن مدى غناه أو فقره على مستوى

الصياغة. ويستوجب الحكم الصحيح عن مدى الأصالة والتفرد عدم الاكتفاء فقط بدراسة النص من حيث الصحة، بل يستوجب أيضاً الاستعانة بـ"الأدوات الدولية" لاستبيان مدى استعارته للفكرة نفسها من الخارج أم تميزه بالتفرد والأصالة من حيث الجوهر. وقد تم رصد اتجاه متصاعد يتبع النهج نفسه في العديد من التخصصات الأخرى، مثل الجغرافيا والأنثوجرافيا وعلم الاجتماع وغيرها من التخصصات.

رابعاً: تداعيات الانفصال بين العلوم السياسية والعلاقات الدولية

يتوقع الباحثين أن يترتب على الانفصال المتخيل بين العلوم السياسية والعلاقات الدولية عدة تداعيات، يتمثل أبرزها فيما يلي:

1- التنافس العابر للتخصصات على اجتذاب العلاقات الدولية: على الرغم من وجود افتراض معتبر بأن العلاقات الدولية لا تملك - على الأقل حالياً - موضوعاً جوهرياً تستطيع ادعاء انفرادها بمعالجته وتحليله، فإن هذا لا يعني أن البعد الدولي لا يعد جذاباً للعلوم والتخصصات الأخرى التي تمتلك موضوعات مستقلة ومناهج متخصصة (مثل الجغرافيا والتاريخ والأدب والاقتصاد وغيرها..).

ففكرة غياب الموضوع المحدد، ومحاولة الخروج من حدود السياسة للاستعانة بمحددات من علوم أخرى قد تؤدي لا محالة لتحويل العلاقات الدولية لتخصص تابع لـ"جميع التخصصات"، وبدلاً من خروج العلاقات الدولية من "التبعية للسياسة" لمزيد من الحرية في إطار العلوم الأخرى، فقد يؤدي ذلك إلى دخولها في مزيد من "السجون" وترسيخ علاقات التبعية.

2- تطوير لغة ومصطلحات جديدة بعيداً عن هيمنة السياسة: إن تعريفات السياسة للعلاقات الدولية، خاصة تلك المتعلقة بالمدارس الواقعية، تختصر هذا الحقل في كونه دراسة للسياسة في ظل غياب السلطة المركزية التي يمكن أن تحكم العلاقات بين الفاعلين المختلفين، وهو التعريف الذي تم وصفه من قبل أنصار الفصل بين التخصصين بأنه يعطي للعلاقات الدولية تعريفاً سلبياً بمجرد نفي وجود سلطة على المستوى الدولي.

ولتحرير العلاقات الدولية من أسر السياسة، يتم تطوير منظومة كاملة من المصطلحات الجديدة التي تخلق إطاراً معيارياً وقيمياً جديداً لهذا التخصص، بحيث يؤدي استخدامها المتواتر إلى عدم الربط بينه وبين السياسة.

وعلى رأس جهود التأصيل المفاهيمي تأتي محاولة تبني تعريف إيجابي للعلاقات الدولية يعتمد على مفهوم آخر غير "السلطة" ويتقاطع مع أكبر عدد ممكن من التخصصات الأخرى. ولعل من أهم الجهود في هذا المجال، ما قام به كينيث والتز[20] بمحاولة تعريف العلاقات الدولية على أنها "تعددية" المجتمعات (Multiplicity of Societies)، حيث إن جوهر البعد الدولي هو التعددية والاختلاف، وليس غياب السلطة من عدمه، كما أنه يلزم التركيز على المجتمعات أو التجمعات البشرية، سواء كانت دولاً أو قبائل أو عرقيات أو حتى شركات ومؤسسات اقتصادية، وبذلك يتم إخراج تعريف العلاقات الدولية من أسر السياسة قدر الإمكان.

3- تراجع التركيز على "العنصر البشري" في دراسة الظواهر الدولية: إن الربط الميكانيكي بين العلاقات الدولية والسياسة أدى إلى التركيز بشكل حصري على التاريخ الإنساني وتطوره وملامحه المختلفة بحكم أن السياسة تركز على العنصر البشري وطبيعة أنماط القوة والثروة بين أفراده.

وسيؤدي الفصل بين العلوم السياسية والعلاقات الدولية إلى إلقاء الضوء بشكل أكبر على عناصر أخرى بخلاف العنصر البشري. وهذه العناصر المركزية قد تكون الكائنات الحية الأخرى، على سبيل المثال، إذا نظرنا للعلاقات الدولية من منظور البيولوجيا والتشريح، أو الجيولوجيا والكيمياء، أو القيم والأعراف الجديدة في ظل تزايد دور الآلات والذكاء الاصطناعي في حياة البشرية. وهذا لا يعني بالطبع انزواء العنصر البشري بشكل كامل، ولا يمكن حتى ادعاء ثانوية وضعه وسط العناصر البحثية الأخرى، لكنه بلا شك أصبح لا يحتكر المجال الدولي، ومن المتوقع، حال الفصل بين العلاقات الدولية والسياسة، أن يواصل تراجعه لصالح العناصر الأخرى.

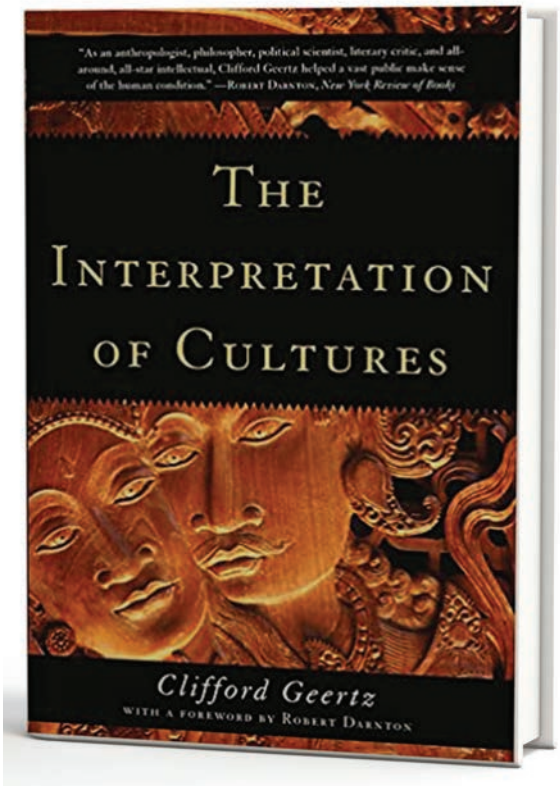

4- تصاعد أزمة الثقة في فروع العلوم السياسية: إن فصل العلاقات الدولية عن السياسة سيؤدي بشكل تلقائي إلى خلق أزمة ثقة في العلوم السياسية بشكل عام بكل فروعها، وليس فقط فيما يتعلق بالعلاقات الدولية فحسب. فالفلسفة السياسية، على سبيل المثال، سيطولها الانتقاد نفسه حول غياب المنهجية المستقلة، حيث تستوحي موضوعها وجدلها الأكاديمي من الفلسفة التقليدية، كما يمكن أن توصف بأنها في النهاية فرع من فروع الفلسفة وفقاً للتيارات الداعية لانفصال الحقول المعرفية.

أيضاً بالنسبة لعلم الاجتماع السياسي وعلم النفس السياسي وحتى النظرية السياسية، فقد تصنف كلها على أنها مظاهر وتعديلات شكلية على موضوعات في الأصل اجتماعية أو نفسية أو تاريخية أو مفاهيمية مستوحاة من علوم أخرى، على رأسها القانون والإدارة والتاريخ.

وفي حقيقة الأمر، فإن هذا الفصل لن يطول بتداعياته فقط حقل العلوم السياسية، بل سيمتد أيضاً لمجموعة أخرى من العلوم والتخصصات كلما حاولت هذه الأخيرة جذب البعد "الدولي" لأدواتها وموضوعاتها. فإذا كانت العلاقات الدولية ستعرف بكونها "تعددية المجتمعات" أو "التبادل بين أشياء لا تنتمي للمحيط نفسه" فإنها وفقاً لهذه الرؤية تبتعد عن الظاهرة السياسية كما تسبب أيضاً إشكاليات في العلوم الأخرى، مثل الجغرافيا والأدب بسبب عدم انتماء العلاقات الدولية لأيٍ من الحقلين وفقدانهم الأدوات الملائمة لدراسة الظاهرة الدولية وفقاً لهذا التعريف.

ملاحظات ختامية: الرؤية البديلة لهيمنة السياسة على العلاقات الدولية

إجمالاً، يسعى تيار صاعد من الأكاديميين إلى تخليص العلاقات الدولية من أسر السياسة حتى تكتسب موضوعاً مستقلاً وإشكاليات متفردة تسمح لها بإثراء الحوار مع العلوم والتخصصات الأخرى. لكن أثناء محاولاتهم القيام بذلك، ظهرت مجموعة أخرى من الإشكاليات التي قد تعيق هذا الفصل عن القيام بالدور المنوط به أو المتوقع منه.

وعلى الرغم من مشروعية هذا السجال الأكاديمي، فإن الإشكالية الحقيقية تكمن في تحديد الغاية الحقيقية من وراء هذا المشروع الانفصالي. فهل يمكن وصف الربط التلقائي بين العلوم السياسية والعلاقات الدولية بـ"السجن" لمجرد افتراض غياب موضوع مستقل لهذه الأخيرة؟ أم أن هذا الربط التلقائي ما هو إلا عنصر كاشف عن أكثر العلوم جذباً للبعد الدولي - ألا وهو السياسة - بحكم الظواهر التي تقوم بدراستها.

وقد يكون تعريف العلوم السياسية باعتبارها سجناً غير دقيق نظراً لإمكانية النظر للارتباط بين العلوم السياسية والعلاقات الدولية باعتبار أن انجذاب العلاقات الدولية للسياسة طبيعياً، وناتجاً عن قوى دافعة من داخل الحقل ذاته. ويعني ذلك ضرورة تجنب إصدار أحكام معيارية ذات دلالات سلبية على دراسة السياسة. وقد يدفع ذلك للتركيز على تطوير ودعم العلاقات الدولية على مستوى المفاهيم والمناهج وأدوات التحليل بدلاً من السعي لفصلها بصورة كاملة عن العلاقات الدولية.

ويرتبط ما سبق بصعود دعوات مراجعة المفاهيم والاقترابات والمناهج التقليدية في حقل العلاقات الدولية والتوقف عن استخدام مصطلحات ظلت شائعة الاستخدام لعقود إلا أنها لم تعد ملائمة بسبب تجاوز واقع التفاعلات الدولية لها بحيث انبرى المتخصصون في العلاقات الدولية في البحث عن بدائل تتمكن من التكيف مع التغيرات السريعة للواقع بهدف تجسير الفجوة بين "عالم المفاهيم" و"عالم السياسة" والتعامل مع الانفصال بين التنظير في العلاقات الدولية والنظم السياسية ومجريات وتطورات الواقع. ويعني ذلك صعود تيار قوي من المتخصصين يسعى لتعزيز الارتباط بين العلاقات الدولية والسياسة لمواجهة دعوات الانفصال عبر تطوير أطر تفسيرية جديدة ومداخل غير تقليدية يمكنها استيعاب حالة الاضطراب في الثوابت على المستويات الداخلية والإقليمية والدولية.

1- Pierre Bourdieu, **Outline of a Theory Practice,** (London: Cambridge University Press, 1977), pp.41-43.

2- Justin Rosenberg, "International Relations in the Prison of Political Science", **International Relations,** Vol 30 (2), April 2016, pp.131-132.

3- Fred Halliday and Justin Rosenberg, “Interview with Ken Waltz”, **Review of International Studies,** Vol. 24(3), 1998, pp.371–86.

4- Alexis Cartonnet, «Structuralisme et néoréalisme dans le champ des relations internationales. Le cas de Kenneth Waltz», **Astérion**, 2011, accessible at : http://journals.openedition.org/asterion/2162 ; DOI : https://doi.org/10.4000/asterion.2162

5- Justin Rosenberg, **Op.cit.**, pp.131-132.

6- Clifford Geertz, **The Interpretation of Cultures**,(London: Fontana, 1993), p.32.

- Brigitte Le Rider et Michel Hiscock, «Relations Internationales : quelques conseils pratiques pour les enseignants de langues», **Cahiers de l’APLIUT**, Vol. 10 (3), 2001, pp 24-31.

7- Tim Dunne, Lene Hansen and Colin Wight, “The End of International Relations Theory?”, **European Journal of International Relations,** Vol.19 (3), 2013, p.406.

8- Chris Brown, “The Poverty of Grand Theory”, **European Journal of International Relations,** Vol. 19 (3), 2013, pp 421-425.

9- L.H.M Ling, “World Politics in Colour”, **Millennium: Journal of International Studies,** Vol. 45 (3), 2017, pp.121-125.

10- Vernon Brown, **“The Reflectivist Critique of Positivist IR Theory”**, E-International Relations, Cardiff University, December 2010, pp.24-26.

11- Samuel M. Makinda, “International Society and Eclecticism in International Relations Theory”, **Cooperation and Conflict,** Vol 35 (2), june 2006, pp.205-210.

12- Robert Jervis, “Realism, Neoliberalism, and Cooperation: Understanding the Debate”, **International Security,** Vol 24 (1), pp.51-53.

13- Verner K. Ruf, «Aspects systémiques de la coopération internationale entre pays inégalement développés», **Etudes Internationales,** Vol. 5 (2), 1974, pp.316-317.

14- Bertrand Badie, **Rethinking International Relations,** (Paris: sciences Po Press, 2020), pp.32-35.

15- Tim Dunne, Lene Hansen and Colin Wight, **Op.cit.,** p.406.

16- Nayef Al-Rodhan, “The Future of International Relations: A Symbiotic Realism Theory”, **Geneva Center for Security Policy,** November 2018, accessible at: https://bit.ly/3du9ZJD

17- Alex J. Bellamy, “Conclusion: Reshaping International Relations?”, in Alex J. Bellamy, **Security Communities and their Neighbours,** (London: Palgrave Macmillan, 2004), pp.178-188.

18- Sbarina Collier, “Politics Vs International Relations: Which Should You Study?”, **Top Universities,** accessible at: https://www.topuniversities.com/courses/politics/politics-vs-international-relations-which-should-you-study.

19- Bertrand Badie, **Op.cit.,** pp.32-35.

20- Kenneth Waltz, **Man, the State and War,** (New York: Columbia University Press, 1959), pp.120 - 131.

المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة
FUTURE for Advanced Research & Studies

موجز "الورقة"

تتناول الورقة التي أعدها د. يوسف داوود، الاستقطاب المتزايد حول تقرير مصير العلاقات الدولية بفصلها عن دراسة العلوم السياسية، وهو ما يرتبط بصعود التفاعلات السياسية الرخوة وأزمة الهوية التي يمر بها الحقل المعرفي والرفض لاحتكار دراسة المكان والاتهامات بالتحيز والأحادية. وتتعرض الورقة للتيارات البديلة والمفاهيم والمناهج الساعية لإعادة هيكلة دراسة العلاقات الدولية وما يترتب على ذلك من تداعيات أكاديمية وتطبيقية واسعة النطاق.

أوراق أكاديمية

أوراق أكاديمية متخصصة تصدر عن مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، تتضمن أُطراً تحليلية، أو معلومات تفصيلية، تتعلق باتجاهات علمية وعملية «تحت التشكيل»، سواء في العالم أو منطقة الشرق الأوسط، والتي تدخل في إطار اهتمام وحدات المركز: الأمنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية والإعلامية.

عن "المستقبل"

مركز تفكير Think Tank مستقل، أنشئ عام 2014، في أبوظبي، بدولة الإمارات العربية المتحدة، للمساهمة في تعميق الحوار العام، ومساندة صنع القرار، ودعم البحث العلمي، فيما يتعلق باتجاهات المستقبل، التي أصبحت تمثل إشكالية حقيقية بالمنطقة، في ظل حالة عدم الاستقرار، وعدم القدرة على التنبؤ خلال المرحلة الحالية، من خلال رصد وتحليل وتقدير «المستجدات» المتعلقة بالتحولات السياسية والاتجاهات الأمنية، والتوجهات الاقتصادية والتطورات التكنولوجية، والتفاعلات المجتمعية والثقافية، المؤثرة على مستقبل منطقة الخليج، وفي نطاق الشرق الأوسط عموماً.

All Rights Reserved Future for Advanced Research and Studies (FARAS) © 2021

ص.ب. 111414 أبوظبي - إ.ع.م.
هاتف: 24444513 971+
فاكس: 24444732 971+
بريد إلكتروني: info@futureuae.com
www.futureuae.com

يمكن قراءة أوراق أكاديمية على الرابط التالي:
https://bit.ly/3uhJmyr

ISSN: 2617-3662